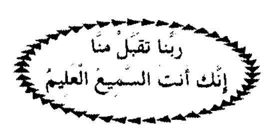
الغلاء بلاء





الطبعة الأولى ٢٠١٠

رقم الإيداع

٢٠٠٩/١٦٠٥٠





١٩،١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٠٥٤١١٩١٠ - ٠٢٢٢٠٠٢ - ٥
E-mail: dar_aleman@hotmail.com



تأليف فضيلة الشيخ
مسعد أنور

حفظه الله






بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة



إن الحمد لله ،نحمده،ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

[الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

فلقد قضى الله -عز وجل- بسُنَّة الابتلاء على جميع ولد آدم في هذه الدنيا، وأن العبد المؤمن مبتلى في هذه الدنيا قطعًا، ولا تزال أسهم البلاء تناوشه حتى تخرجه نقيًا صافيًا صلبًا.

وعلى المؤمن إذا نزل به البلاء أن يصبر، ولا يقنط؛ فما من مصيبة إلا ولها من عند الله كاشفة، وعليه أن يتسلى بما حدث للمرسلين، والنبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، هؤلاء الأبرار الأخيار الأطهار.

فقد ابتلى الله آدم بشجرة المحنة، وابتلى نوحًا بزوجه، وولده وقومه، وابتلى إبراهيم بأبيه وبنار النمرود، وابتلى إسماعيل بالذبح، وابتلى أيوب بالمرض، وابتلى يعقوب بفقد يوسف، وابتلى يوسف بامرأة العزيز، وابتلى موسى بفرعون، وابتلى عيسى (عليه السلام) باليهود، وابتلى رسول الله محمد (ﷺ) بقومه وباليهود وبالمنافقين وبموت الأولاد وببلايا كثيرة أشد من جميع ما ابتلى به الأنبياء. فقال له عز وجل: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

إخوتي في الله :

ومن جملة هذه البلاءات أو الابتلاءات بلاء الفقر والجوع.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٥٥) ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ (١٥٦) أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥- ١٧٥].

لاحظ معي حبيبي في الله صدر الآية ، يقول الله عز وجل: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم ﴾ :كلام مؤكد بلام التوكيد،ونون التوكيد الثقيلة؛ ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ﴾

﴿بِشَيْءٍ ﴾ : ومن رحمة ربنا أنه قال بشيء، وذلك لأنه

رحمن رحيم ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

ابتلاء: بالخوف، والجوع، ونقص الأموال، والأنفس والثمرات .

مجاعة عالمية:

العالم الآن لا يعرف طعم الأمن الحقيقي؛ ففي كل مكان ترى حريقًا من حريق الحروب، حيث الدمار، والأشلاء، والدماء في: العراق، وفلسطين، وأفغانستان، ولبنان، والصومال، والسودان... العالم يعيش في قلق، وفي خوف، وفي رعب؛ بل ويستعد العالم لمجاعة عظيمة نقص الثمرات، والغذاء. ونسمع مؤتمرات عالمية في هيئة الأمم وعندها يحذر، ويصرح أن البشرية مقبلة على مجاعة رهيبة قد تحصد ملايين الأرواح.

ونقرأ في الجرائد، ونسمع في البرامج تحليلات مادية بحتة يحلل أصحابها المشكلة، ويضعون الحلول المادية البحتة التي قد تخفض من حدة المشكلة، ولكنها لا تستأصلها.

ما هي أسباب هذه المجاعة العالمية؟

١ - **يقول المحللون:** إن السبب الأول: هو الجفاف الشديد الذي تعرضت له أستراليا فضيع معه ٧٠٪ من محصول القمح الذي يعتمد عليها شعوب كثيرة.

٢ - **السبب الثاني:** القفزة والطفرة الاقتصادية التي وصلت إليها الصين، والهند مما أدى إلى ارتفاع مستوى المعيشة، وإقبال هذه الشعوب على الاستهلاك بصورة قوية بعد أن كانوا يقتصدون جدًا في الاستهلاك، ولا يخفى عليكم أن الصين وحدها تساوي ثلث العالم، والهند

تقترب من المليار.

٣- السبب الثالث: هو استخراج بعض الدول الكبيرة الوقود الحيوي من بعض المحاصيل الزراعية الاستراتيجية الأساسية مثل (القمح، الأرز، الذرة). إنها الأنانية وحب الذات، وعدم الدين، وموت الضمير.

٤- وأنا أضيف سببًا رابعًا ألا وهو: فرقة العرب، والمسلمين، وهذا السبب يخصنا كمسلمين، وعرب، وإلا فنحن نملك الأرض الخصبة، وموارد المياه، والأيدي العاملة، والمال، ولو تعاونت، وتضافرت الجهود لأكلنا، وأطعمنا العالم.

فالسودان مثلًا تملك الأرض الخصبة،وموارد المياه، والسعودية وبلاد الخليج يملكون الأموال، ومصر تملك الأيدي العاملة.

ولكن أين الإرادة ؟ وأين : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة: ٢].

أين أخوة الإيمان، والإسلام؟ هذا هو السؤال:

إخوتي في الله :

كل الذي مضى من الأسباب المادية البحتة، ولكن لعلماء الشريعة أسباب أخرى لهذه الكارثة، هذه الأسباب استخرجوها من القرآن والسُنَّة ؛ فما هي يا ترى أسباب هذه المصيبة؟

وما هو العلاج؟ :

الأسباب الشرعية :

أولاً : التحذير من التمادي في الذنوب والمعاصي :

قال الله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ

دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

[السجدة: ٢١].

لعلهم يتوبون، لعلهم ينيبون، لعلهم يرجعون.. إذ أن هناك ناس ما داموا في نعمة يحاربون الله بالمعاصي، ويبارزونه بالذنوب، وينشغلون بالنعمة عن المنعم، ولا يشكرون الله على فضله، وجوده، وإحسانه، ويكفرون بنعمة الله، ويجحدون فضل الله؛ فيسلبهم الله النعمة حتى يفيقوا حتى يعودوا، حتى يرجعوا إلى ربهم ومولاهم.

ثانيا: عقوبة لأهل الكفر والمجرمين الصادين عن سبيل الله:

قال الله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١].

وقد ظهر الفساد، وكثر الفساد في البر والبحر. نعم لقد كثرت الذنوب والمعاصي، وجاهر الناس بها.ظهر الزنا، والخمر، والربا، والسفور، والظلم ، والعقوق، وأكل أموال الناس بالباطل..،

وقد قال رسول الله ﷺ : «مَا ظَهَرَ فِي قَوْمٍ الرِّبَا ، وَالزِّنَا إِلَّا أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عِقَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[١] .
أو ظهر الفساد كما قال بعض أهل العلم

أي: الكوارث، والزلازل، والبراكين، والسيول، والأمراض، والمجاعات، وذهاب البركة، والفقر، والضنك بسبب الذنوب والمعاصي﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[فصّلت:٤٦].

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الصلاة، أبواب المساجد، باب: تشبيك الأصابع في المسجد وغيره(٤٦٧)، ومسلم، كتاب: البر والصلة، باب:تراحم المؤمنين، وتعاطفهم، وتعاضدهم(٢٥٨٥)من حديث أبي موسى رضي الله عنه .

وقال جل جلاله: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [هود:١١٧].

روى أحمد عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابِهِ»[1].

ثالثا: كفران النعم:

إخوتي في الله، إن لله -عز وجل- سننًا في هذه الدنيا، وقواعد لا تتغير، ومن هذه السنن:

أن الطاعة والشكر سبب للنعمة ودوامها، والمعصية والجحود وكفر النعمة سبب لزوالها.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ

---

(١) أخرجه أحمد (١/٤)، وابن حبان (٣٠٦).

لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم:٧].

فالله عز وجل قد ينقص من العباد نعمةً ، أو شيئًا من نعمة لعلهم يعودوا، ويتوبوا.

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال:٥٣].

أي: أن الله لا يزيل النعمة عن العباد إلا بجحودهم، وعدم شكرهم للرب المنعم سبحانه.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

إذا كنت في نعمة فارعها
فإن المعاصي تزيل النعم

وحافظ عليها بتقوى الإله
فإن الإلـه سريع النقم

وكان عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - يقول: «قيدوا النعم بالشكر».

واسمع حبيبي في الله إلى هذه الآيات لتعرف سبب البلاء، والغلاء، والضنك.

قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾

[النحل: ١١٢].

وإليكم عبرة قرآنية من قصة سبأ:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾[سبأ: ١٥- ١٧].

لقد كانت سبأ من الحضارات، والقوى العظمى التي ليس لها مثيل في زمانها؛ فقد كانت حضارة عمرانية، واقتصادية، ويعتبر سد مأرب دليلًا واضحًا على هذه الحضارة، وكذلك كانت تملك قوة عسكرية جبارة، ظهرت ثقة هذا الجيش بنفسه في سورة النمل عندما قال قواده لملكة سبأ (بلقيس): ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ

شَدِيدٍ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴾ [النمل:٣٣].

قال ابن كثير :

وكان من أمر السد أنه كان الماء يأتيهم من بين جبلين، وتجتمع إليه أيضًا سيول أمطارهم؛ فعمد ملوكهم الأقادم؛ فبنو سدًا عظيمًا محكمًا حتى ارتفع الماء، وحكم على حافات الجبلين؛ فغرسوا الأشجار، واستغلوا الثمار في غاية ما يكون من الكثرة والحسن، كما ذكر غير واحد من السلف.

قال قتادة : إن المرأة كانت تمشي تحت الأشجار وعلى رأسها المكتل؛ فتتساقط الثمار من الأشجار حتى تملؤه دون قطاف، وذلك لكثرته، ونضوجه واستوائه.

وقال غيره:

ولم يكن ببلدهم شيء من الذباب، ولا البعوض، ولا البراغيث، ولا شيء من الهوام، وذلك لاعتدال الهواء، وصحة المزاج، وقبل ذلك لعناية الله بهم ليوحدوه، ويعبدوه.

فما الذي حدث؟

أعطاهم الله كل هذه النعم ليعبدوه، ويشكروه؛ فقال سبحانه: ﴿ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ [سبأ:١٥].

ولكنهم لم يعبدوا، ولم يشكروا بل انشغلوا بالنعمة عن المنعم، وأعرضوا عن طاعة الله واستخدام النعمة فيما يرضي الله؛ فسلب الله عز وجل منهم هذه النعمة، وضيق عليهم في الرزق، وأبدلهم بهذه الرفاهية، والرخاء،

والنعماء، خشونة، وشدة، وذلك حين أرسل عليهم (سيل العرم) وهو سيل جارف يحمل في طريقه من شدته (العرم) وهي الحجارة.

فحطم السيل السد، وغرقت الأرض، وماتت الأشجار، والثمار، وأبدلهم ربنا عز وجل بهذه الجنان، والبساتين الخضراء: صحراء قاحلة تتناثر فيها الأشجار البرية الخشنة.

قال تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧].

ونعمة أخرى لم تشملها العقوبة: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا

ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴾ [سبأ: ١٨].

قال ابن كثير - رحمه الله - :

كانوا يعيشون في نعمةٍ، ورغد، وعيش هنيئ، وأماكن آمنة، وقرى متواصلة متقاربة مع كثرة أشجارها، وزرعها، وثمارها بحيث أن مسافرهم لا يحتاج إلى زاد، أو ماء في سفره بل حيث نزل وجد ماءًا، وثمارًا، ويقيل في قرية، ويبيت في أخرى؛ فكان السفر فيه محدودًا [1].

فما الذي حدث؟ :

غلبت عليهم شقوتهم، ودعوا بدعوة الحمق، والجهل: ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبأ: ١٩].

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/٥٠٧).

قال الإمام القرطبي [1] :

لما بطروا، وطغوا، وسئموا الراحة، ولم يصبروا على العافية تمنوا طول الأسفار، والكدح في المعيشة. واستجيب لهم، ولكن لم ينبغي أن يستجاب للمتكبرين المترفين.

فشردهم الله، ومزقهم، وفرقهم في أنحاء الجزيرة العربية، والشام، وعادوا أحاديث يرويها الرواة، وقصة تدور على الألسنة.

فقال الله عز وجل: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ [سبأ: ١٩] أي بعدم شكر النعمة.

﴿فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٩].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٢٩٠).

قال الإمام ابن كثير في البداية والنهاية وفي سنة اثنتين وستين وأربعمائة وفيها كان بلاء شديد بمصر:

١- فأكلوا الجيف، والميتات، والكلاب؛ فكان الكلب يباع بخمسة دنانير، وأفنيت الدواب؛ فلم يبق لصاحب مصر سوى ثلاثة أفراس؛ بعد أن كان له العدد الكثير من الخيل، والدواب.

٢- ونزل الوزير يومًا عن بغلته؛ فغفل الغلام عنها لضعفه من الجوع؛ فأخذها ثلاثة فذبحوها، وأكلوها؛ فأخذوا فصلبوا فما أصبحوا إلا وعظامهم بادية قد أكل الناس لحومهم.

٣- وقبض على رجل يقتل الصبيان، والنساء، ويدفن رؤوسهم، وأطرافهم، ويبيع لحومهم؛ فقتل وأكل لحمه.

٤- وكان لا يتجاسر أحدٌ على دفن ميته نهارًا، وإنما

يدفنه خفية لئلا ينبش قبره فيؤكل[١].

عام الرمادة:

في أواخر سنة ١٧ هجرية، وبداية عام ١٨ هـ:

وقعت أزمةٌ طاحنةٌ في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه تمثلت في حصول قحط شديد بين الناس في أرض الحجاز حتى تجمع في المدينة من غير أهلها قرابة الستين ألفًا.

فقلَّ الطعام، وجفت الينابيع، وغارت المياه، حتى كانت الوحوش تأوى إلى الناس، واستمرت هذه الأزمة لمدة تسعة أشهر، وسمى الناس هذا العام بعام الرمادة.

ولكن لماذا سموه بعام الرمادة؟:

١- قالوا كانت الريح تأتي على الأرض؛ فلا تسفي إلا

---

(١) البداية والنهاية(١٢١/١٢).

ترابًا كالرماد.

٢- وقيل بل أصبحت الأرض سوداء لقلة المطر كأنها رماد.

٣- وقيل بل تغيرت ألوان أجساد الناس؛ فكانت شبيهة بالرماد حتى نحل جسم عمر وأسود لونه ....وفزع عمر رضي الله عنه فزعًا شديدًا، وكان يبكي، ويتضرع إلى الله في الدعاء ويقول: اللهم لا تجعل هلاك أمة محمد على يدي[1].

ولكن ماذا فعل عمر رضي الله عنه ...؟

أولًا: حث الناس على التوبة: والإكثار من الصلاة، والدعاء، واللجوء إلى الله.

قال ابن سعد في الطبقات:

خطب عمر في الناس في زمن الرمادة فقال: يا أيها

(١) البداية والنهاية(١٠٣/٧).

الناس اتقوا الله في أنفسكم، وفيما غاب عن الناس من أمركم؛ فقد ابتليت بكم، وابتليتم بي؛ فما أدري السخط علي دونكم، أو عليكم دوني، أو قد عمتني، وعمتكم؛ فهلموا فندعوا الله أن يصلح قلوبنا، وأن يرحمنا، وأن يرفع عنا ما نزل بنا. ثم رفع يديه، ودعى، وبكى، وبكى الناس مليًا، وكان يقول: اللهم لا تهلكنا بالسنين (القحط) وارفع عنا هذا البلاء.

وكان ينادي: أيها الناس استغفروا ربكم، وتوبوا إليه، وسلوه من فضله، واستسقوا سقيا رحمة»[1].

ثانيًا: طلب الغيث من الله:

خرج عمر رضي الله عنه مرة يستسقي بالناس؛ فصلى ركعتين؛ فأوجز ثم قال: اللهم عجزت عنا أنصارنا، وعجز عنا

---

(١) الطبقات الكبرى(٣/٣٢٢).

حولنا وقومنا، وعجزت عنا أنفسنا، ولا حول ولا قوة إلا بك، اللهم اسقنا، وأحيي العباد، والبلاد.

وخرج مرة أخرى يستسقي؛ فما زاد على الاستغفار فقيل له: يا أمير المؤمنين ما نراك استسقيت؟ فقال: لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر ثم قرأ ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ [نوح: ١٠-١١].

وخرج مرة يستسقي بالعباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ فقال عمر رضي الله عنه: اللهم إنا كنا إذا قحطنا على عهد نبينا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا.

فوقف العباس رضي الله عنه ودعا فقال: اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك

لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا بالذنوب، ونواصينا بالتوبة؛ فاسقنا الغيث؛ فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخضبت الأرض، وعاش الناس[1].

ثالثًا: كتب إلى عماله في الأمصار طالبًا الإغاثة.:

وفي رسالته إلى عمرو بن العاص والي مصر بعث إليه: يا غوثاه يا غوثاه، أنت ومن معك، ومن قبلك، وما أنت فيه، ونحن ما نحن فيه؛ فبعث إليه عمرو بألف بعير تحمل الدقيق، وبعث في البحر بعشرين سفينة تحمل الدهن (الزيت) وبعث إليه بخمسة آلاف كساء.

وأرسل إلى سعد بن أبي وقاص ﷺ ؛ فأرسل له بثلاثة آلاف بعير تحمل الدقيق وبعث إليه بثلاثة آلاف عباءة، وأرسل إلى والي الشام (معاوية ﷺ) فبعث له بألفي بعير

(١) الطبقات الكبرى(٣/٣٢١).

تحمل الزاد ونحو ذلك مما حصل من مواساة المسلمين بعضهم لبعض.

رابعًا: أما حال عمر نفسه فكان عجيبًا:

١ – قال أنس ﷺ : كان بطن عمر ﷺ يقرقر من الجوع في عام الرمادة، وكان يأكل الزيت، والملح، وحرم على نفسه السمن، وكذا اللحم، وكان إذا قرقر بطنه نقر عليه بإصبعه، وقال قرقر، أو لا تقرقر؛ فليس لكِ عندي إلا الملح حتى يحيى الناس.

٢– حتى قال مولاه أسلم: كنا نقول لولا لم يرفع الله المحل عام الرمادة لِظننا أن عمر يموت همًا لأمر المسلمين.

وهكذا حل عمر ﷺ الأزمة حتى انزاحت الغمة.

الأحزاب:

حاصر المشركون المدينة في جيش عرمرم بلغ عدده عشرة آلاف مقاتل جيش ربما يزيد عدده على جميع من في المدينة من النساء، والصبيان، والشباب، والشيوخ.

وأشـار سلمان الفارسي ﷺ ... على النبي ﷺ بحفر الخندق، وأخذ النبي ﷺ بمشورة سلمان ﷺ وأمر الصحابة ﷺ بحفر الخندق، وحفر معهم ﷺ ، بل وحمل التراب حتى وارى التراب جلدة بطنه ﷺ واشتد الحصار على المسلمين، وعضهم الجوع بنابة الأزرق.

١- قال أنس ﷺ ...: كان أهل الخندق يؤتون بملء كف من الشعير فيصنع لهم بإهالة سنخة (يعني بسمن رائحته بشعة من القدم) توضع بين يدي القوم، والقوم جياع، وهي بشعة في الحلق، وريحها منتن، واشتد الحصار

حتى أكل الصحابة ﵃ ورق الأشجار، وكانوا يضعون كما تضع البعير [١] .

٢- قال أبو طلحة ﵁ ...: شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع؛ فرفعنا عن بطوننا عن حجر حجر؛ فرفع رسول الله ﷺ عن حجرين [٢] .

٣- حتى أن سعد بن أبي وقاص ﵁ ... يحكي أنه قام في ناحية الخندق في ليلة مظلمة يتبول فاصطدم بوله بشيء صلب؛ فتحسسه فوجده جلدة يابسة من بقايا جزور؛ فأخذها، وغسلها ودقها بين حجرين،وسفها من شد الجوع.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة الخندق (٤١٠٠).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب: الزهد، باب: ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ (٢٥٤٥).

جوع النبي ﷺ والصحابة في شعب أبي طالب:

اجتمع المشركون في ضيف بني كنانة من وادي المحصب؛ فتحالفوا على بني هاشم، وبني المطلب، والمسلمين.

لا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يجالسوهم، ولا يخالطوهم، ولا يدخلوا بيوتهم، ولا يكلموهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ للقتل. وكتبوا بذلك صحيفة، وعلقوها في جوف الكعبة، وظل هذا الحصار لمدة ثلاثة سنوات.

واشتد الحصار، وقطعت عنهم الميرة، والمادة؛ فلم يكن المشركون يتركون طعامًا يدخل مكة بيعًا، وإلا بادروه؛ فاشتروه حتى بلغهم الجهد، والتجأوا إلى أكل الأوراق، والجلود، وحتى كان يسمع من وراء الشعب أصوات نسائهم، وصبيانهم يتغاضون من الجوع، وكان لا يصل

إليهم شيء إلا سرًا.

حتى بعث الله الأرضة ؛ فأكلت كل ما في الصحيفة من جور، وظلم، ولم يبق فيها إلا ذكر الله (باسمك اللهم).

ولما أخبرهم أبو طالب بذلك، وفتحوا الكعبة ووجدوا الصحيفة على ما ذكر، وسعى بعض المشركين ممن كره هذه المعاهدة الظالمة لإلغاءها وفرج الله الكرب.

وما هو العلاج لهذه الأزمة؟

أولًا: العودة الصادقة لدين الله عز وجل:

العودة الصادقة للقرآن، العودة الصادقة للسُنَّة، العودة الصادقة إلى دين الله عز وجل.

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ

فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾[طه: ١٢٣].

وفي سورة طه قال جل جلاله: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾[طه: ١٢٤].

ورسم القرآن طريق الحياة الطيبة بقوله: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[النحل: ٩٧].

ثانيًا: التوبة والاستغفار:

والتوبة واجبة على كل مسلم، قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

[النور: ٣١].

لابد لنا من توبة نصوحًا يا عباد الله. إذ أن البلاء في الغالب لا ينزل إلا بذنب، ولا يرفع إلا بتوبة، ونحن قد فرطنا كثيرًا، وضيعنا كثيرًا، وأذنبنا كثيرًا كثيرًا؛ فاللهم هب لنا توبة من عندك حتى نتوب.

والاستغفار من أعظم مفاتيح الرزق: قال تعالى حاكيًا عن قول نبيه نوح ﷺ لقومه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾

[نوح: ١٠- ١٢].

ثالثًا: الدعاء:

١- قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣].

٢- وقال جل جلاله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٤].

٣- روى الترمذي في (سُننه): عن سلمان ﷺ ... قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة» (١).

رابعًا: إحياء حقوق الأخوة بين المسلمين:

١- فلا بد من إحياء معاني (التعاون على البر والتقوى).

٢- إحياء معاني الجود والكرم، والبر، والصدقة، والإحسان، والإيثار في قلوب الناس. وهذا دور العلماء.

فلابد للعلماء أن يأخذوا بأيدي الناس إلى الصبر،

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: الدعوات، باب: من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة(٣٨٩٣)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب(١٦٣٤).

والرضا، والتكافل، والتعاون، وهذه المعاني كلها في القرآن، والسُّنَّة، وفي سيرة النبي ﷺ وأصحابه ﷺ.

فأين حديث النبي ﷺ:

١- «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ، وَالْحُمَّى»[1].

٢- وأين حديث النبي ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»[2].

٣- وأين حديث النبي ﷺ: «صدقة السر تطفئ

(١) أخرجه مسلم، كتاب: البر والصلة، باب: تراحم المؤمنين (٦٧٥١) من حديث النعمان بن بشير ....

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الصلاة، باب: تشبيك الأصابع في المسجد (٤٨١)، ومسلم، كتاب: البر والصلة، باب: تراحم المؤمنين (٦٧٥١) من حديث أبي موسى.

غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر، وصنائع المعروف تقي مصارع السوء»[١].

٤- وأين حديث النبي ﷺ الذي رواه مسلم: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»[٢].

والله إن المسلمين يملكون الكثير والكثير، والله ما ضاع ولا جاع الفقير إلا لما بخل الغنى. وربنا جل جلاله قال: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر: ٨].

(١) السلسلة الضعيفة(٦/٣٠٩).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الذكر والدعاء، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن (٧٠٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والعرب فيهم من يملك المليارات، سمعنا عن عربي اشترى حطام سيارة ديانا بـ ٤ مليون جنيه استرليني، وسمعنا عن ثري عربي تبرع بـ ٥ مليون جنيه استرليني لحديقة حيوان، بينما المسلمون يموتون من الجوع في الصومال، والنيجر.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

خامسًا: الإتباع وعدم الابتداع في الدين:

قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور:٦٣].

قال رسول الله ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا، كتاب الله وسنتي»[١].

سادسًا: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ

---

(١) أخرجه الحاكم(٢٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [هود:١١٧].

سابعًا: أخذ الدين بشمولية:

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [البقرة:٢٠٨].

وقال عز من قائل: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة:٨٥].

ثامنًا: شكر النعمة:

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾

[إبراهيم:٧].

وقال عز من قائل: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢].

تاسعًا: الاجتهاد في الطاعات:

قال الله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾ [قريش: ١- ٤].

عاشرًا: الاقتصاد في المعايش، والبعد عن الإسراف والتبذير:

قال الله عز وجل: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١].

وقال جل جلاله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٧].

وقال جل جلاله: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩].

الحادي عشر: على أهل المسئولية:

أن يختاروا في إدارة هذه الأزمات الحفيظ العليم، أي صاحب الكفاءة، والعلم، والأمانة. إذ أن الأزمة ليست أزمة موارد؛ فمواردنا كثيرة، ولكن الأزمة تكمن في الإدارة، وإلا فقد مرت على مصر السنين العجاف في عهد يوسف عليه السلام، ولكن الملك جعلها في عنق يوسف لأنه من أهل العلم، والأمانة؛ فنجا بالأمة من الأزمة ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٥].

وكذا بحسن سياسة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ... في عام الرمادة مرت الأزمة أيضًا بسلام.

وعلى أهل المسئولية أيضًا أن يضربوا بيد من حديدٍ على من يشغل حاجات الناس، أو يحتكر طعامًا ليمتص دماء الناس.

وإلا فرسول الله ﷺ قال: « مَنِ احْتَكَرَ فَهُوَ خَاطِئٌ» [١] ، يعني في وقت الأزمات.

وعليهم أيضًا: أن يحثوا من وسع الله في أرزاقهم بأن يمدوا يد العون لإخوانهم من أهل الحاجة في هذه الأزمات.

وعليهم أن يتواصلوا مع كل أبناء أمتهم من المسئولين حتى يتم التعاون، والتكافل، والتكاتف على مستوى أمتنا

(١) أخرجه مسلم، كتاب: المساقاة، باب: تحريم الاحتكار(٤٢٠٦) من حديث معمر بن عبد الله رضي الله عنه .

قدر الطاقة لاسيما في ساعات المحن، وأيام الأزمات.

السادس عشر: على الجميع أن يأخذ بالأسباب:

المادية من كدح، وكد، وعمل، وسعي من وراء الرزق.

وكذا عليهم بالأخذ بالأسباب الشرعية لجمع الرزق، وهي كالآتي:

١ - تقوى الله عز وجل:

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق ٢، ٣].

وقال جل جلاله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

فمن اتقى الله عز وجل جعل له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب.

٢ - الاستغفار والتوبة:

قال الله تعالى حاكيًا عن نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠ - ١٢].

قال القرطبي: هذه الآية دليل على أن الاستغفار يستنزل به الرزق، والأمطار[1].

روى أحمد، وأبو داود، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر -رحمه الله-: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَكْثَرَ مِنَ الاسْتِغْفَارِ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن(١٨/٣٠٢).

ضِيقٍ مَخْرَجًا ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»[١].

٣ - التوكل على الله:

والتوكل هو الأخذ بالأسباب ثم ترك النتائج على رب الأرباب.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

وروى أحمد والترمذي وصححه الألباني: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِه لَرُزِقْتُمْ كَمَا تُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»[٢].

---

(١) أخرجه أحمد(٥/٢٢٩)، وابن ماجه، كتاب: الأدب، باب: الاستغفار(٣٩٥١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) خرجه أحمد(١/٢١٤)، والترمذي، كتاب: الزهد، باب: في التوكل على الله (٢٥١٥) من حديث عمر رضي الله عنه.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

٤ - صلة الأرحام:

روى البخاري: عن أبي هريرة رضي الله عنه ... قال: قال رسول الله ﷺ : «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ؛ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[١].

٥ - الصدقة والإنفاق في سبيل الله:

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الأدب، باب: من بسط له في الرزق بصلة الرحم (٥٩٨٦) من حديث أنس رضي الله عنه.

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٨].

روى مسلم: عن أبي هريرة ﷺ ... قال: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ»[(١)].

روى البخاري: عن أبي هريرة ﷺ ...: قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ؛ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الزكاة، باب: الحث على النفقة (٢٣٥٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

خَلَفًا ، وَيَقُولُ الآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا » (١).

٦- الإحسان إلى الفقراء، والضعفاء:

روى البخاري عن سعد رضي الله عنه ... قال: قال رسول الله ﷺ : «هَلْ تُنْصَرُونَ، وَتُرْزَقُونَ إِلاَّ بِضُعَفَائِكُمْ» (٢).

وكذا الإساءة على الفقراء من أسباب الحرمان من الرزق، وفي (سورة القلم) لما بخل الأغنياء ببعض ثمار بستانهم على الفقراء ماذا حدث لبستانهم؟ .

قال تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ [القلم: ١٩، ٢٠]. أي محترقة.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الزكاة، باب: قول الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ (١٤٤٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد، باب: من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب (٢٨٩٦).

٧- المتابعة بين الحج والعمرة:

روى الترمذي، والنسائي، وصححه الألباني : عن ابن مسعود رضي الله عنه ... قال: قال رسول الله ﷺ : «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ، وَالْعُمْرَةِ؛ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ، وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ، وَالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةِ. وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبرورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ» (١).

٨- التفرغ للعبادة:

والتفرغ للعبادة هنا ليس معناه الانقطاع عن الكسب، وإنما معناه: أن يكون العبد حاضر القلب، والجسد أثناء

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: الحج، باب: ما جاء في ثواب الحج والعمرة (٨١٥)، والنسائي، كتاب: المناسك، باب: فضل المتابعة بين الحج والعمرة(٢٦٤٢)، وأحمد(٢٦٨/٨)، وصححه الألباني في المشكاة (٢٥٢٤).

العبادة، ولا ينشغل بالعمل عن العبادة؛ فلا يترك الصلاة من أجل العمل، ولا يؤخر الصلاة من أجل العمل، ولا يقف في الصلاة، وذهنه مشوش بالدنيا.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١].

وقال عز من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩].

روى الترمذي، وابن ماجة، وصححه الألباني عن أبي هريرة ﷺ... قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِلاَّ تَفْعَلْ مَلأْتُ يَدَيْكَ شُغْلاً وَلَمْ

أَسُدَّ فَقْرَكَ»[(١)].

وروى الترمذي أيضًا: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»[(٢)].

٩- الزواج والإنجاب:

قال الله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: صفة القيامة، باب: من كانت الآخرة همه (٢٦٥٤)، وابن ماجه، كتاب: الزهد، باب: الهم بالدنيا(٤٢٤٦)، وأحمد(٤٦١/١٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣١٦٥).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب: صفة القيامة، باب: من كانت الآخرة همَّه (٢٦٥٣)، من حديث أنس ﷺ ... وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب(٣١٦٩).

عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ... يقول: عجبًا لمن لم يلتمس الغنى في النكاح، والله يقول: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

وقال الله عز وجل في إنجاب الذرية: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١].

عاشرًا وأخيرًا: الدعاء الدعاء:

وقد كان رسولنا ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى، وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ، وَالْغِنَى»[1].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الذكر والدعاء، باب: التعوذ من شر ما عمل وشر ما لم يعمل(٧٠٧٩) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ....

وكان يتعوذ بالله، ويقول: «اللَّهُـمَّ إِنِي أَعُـوذُ بِكَ مِنَ الْهَـمِ وَالْحَـزَنِ، وَالْعَجْـزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُـبْنِ، وَضَلَعِ الـدَّيْنِ، وَغَلَبَـةِ الـرِجَـالِ»[1] .

وهذا نبي الله موسى عليه السلام: لما خرج من مصر إلى مدين حافيًا جائعًا، وسقى لابنتي شيخ مدين، وتولى إلى الظل، أخذ يدعوا ربه، ويطلب السعة في الرزق فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

ولم تمر لحظة حتى جاءه الفرج:

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ .

[القصص: ٢٥].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد، باب: من غزا بصبي للخدمة(٢٨٩٣) من حديث أنس رضي الله عنه ....

فاللهم يا رزاق ارزقنا، ويا رحمن يا رحيم ارحمنا، اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، اللهم لا تعاملنا بما نحن أهله، وعاملنا بما أنت أهله، إنك أهل التقوى، وأهل المغفرة، وصل اللهم على سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله، وأزواجه، وأصحابه، وسلم تسليمًا كثيرًا. آمين.



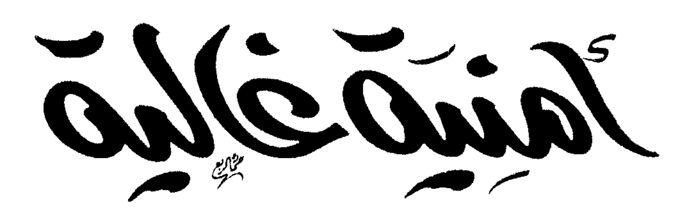
الفهرس



الفهرس



من أحدث مطبوعات دار الايمان



كتبه

مسعد أنور

عفا الله عنه





من أحدث مطبوعات دار الإيمان



كتبه

مسعد أنور

عفا الله عنه

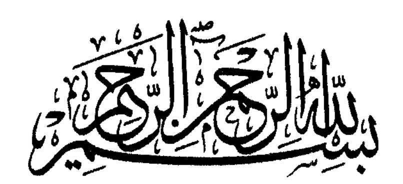


دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩


القلوب المطمئنة


بسم الله الرحمن الرحيم